العوامل المساهمة في بروز القرابة كفاعل اجتماعي متحكم في الاختيارات السياسية للسكان الريفيين بالجزائر

خبرارة نبيلة (طالبة دكتوراه)
جامعة باتنة 1 (الجزائر)

الملخص

للقرابة في المجتمع الريفي الجزائري دور مركزي ومحوري في التأسيس للروابط والعلاقات الاجتماعية لسكانه وكذا توجيه أنشطتهم وممارساتهم السياسية من خلال فرض منطقها والرمي بثقلها في اختياراتهم السياسية مرسلة بذلك إشارات ذات دلالة اجتماعية وجب البحث فيها ضمن نطاق سوسيولوجيا الريف للوصول إلى فهم بواعثها وديناميكية استمرارها وبقائها كفاعل اجتماعي متحكم في الاختيارات السياسية للسكان الريفيين

الكلمات المفتاحية : القرابة ، الممارسة السياسية ، الاختيارات السياسية ، سوسيولوجيا الريف ، الفاعل الاجتماعي ، السكان الريفيون

Résumé

La parenté dans la société rurale algérienne a un rôle central et essentiel dans l'établissement des relations et des liens sociaux de ses habitants et l'orientation de leurs activités et leurs pratiques politiques, en imposant sa logique dans leurs choix politiques et en envoyant des signes sociaux qu'on doit les chercher au sein de la sociologie rurale pour arriver a comprendre ses motivations et le dynamique de sa continuité et sa survie comme étant un acteur social contrôleur dans les choix politiques des habitants ruraux.

Mots clés : la parenté, la pratique politique, les choix politiques, sociologie rurale, l'acteur social, les habitants ruraux.

Abstract

The kinship in the Algerian rural society has a central and essential role for the establishment of social relationships and connections of its inhabitants as well as for orienting their activities and political practices by imposing its logic and great impact in their political choice , so it sends significant social signs which must be searched in within the rural sociology field to reach understanding the reasons and dynamic of its continuity and survival as a social actor controlling political choices of the rural inhabitants

key words : the kinship , political practice , political choices , rural sociology , social actor ,rural inhabitants.

مقدمة

ينزع الإنسان بطبيعته للعيش في إطار جماعي مع بني جنسه تربط بينهم الحاجات المشتركة ، وينشأ بينهم نمط من التفاعل والعلاقات المتبادلة القائمة على أساس التعاون والعمل المنسق لإنجاز الأهداف المسطرة ، وتتباين قوة هذه العلاقات ومستوياتها وأنماطها من مجتمع إلى آخر وحسب ظروف الزمان والمكان ،ولأن الدراسة الحالية منصبة على المجتمعات الريفية ،فإن ما يميز هذه المجتمعات وما أجمع حوله علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا هو قوة العلاقة بين الأفراد على أساس القرابة التي تنطوي عليها الحياة الاجتماعية في الأرياف بكافة أنساقها

إن التضامن الاجتماعي بين أعضاء الجماعة القرابية بمختلف صورها كالعائلة والعشيرة ،العرش أو القبيلة وبمختلف انحداراتها المبنية على الروابط الدموية الحقيقية أو المتأتية عبر علاقات المصاهرة أو تلك التي تشمل رابطة

الولاء التي تغذيها فكرة الانتماء للمجال الجغرافي المشترك بين الريفيين ، يتجلى وبوضوح في العديد من المناسبات الاجتماعية كالتعاضد والتآزر في الأفراح والأتراح والهبة لنصرة المظلوم في وقت الأزمات والتعصب لذوي القربى في كل المواقف ،ما يعكس قوة التماسك والشعور الجمعي عند هذه الجماعات

وتمتد القرابة كبنية اجتماعية أساسية في الأرياف لتشمل أبعادا تتجاوز المجال الاجتماعي والاقتصادي إلى المجال السياسي ،ورغم اتفاق بعض الباحثين حول تراجع وتقهقر ادوار هذه البنية بحكم أنها تخص المجتمعات التقليدية والبسيطة والأولية والتي فقدت الكثير من تقليديتها جراء سيرورة التحديث التي لحقت بها ،إلا انه لا تفتأ حتى تستعيد نشاطها وحيويتها في العديد من المناسبات كالانتخابات مثلا أين تبرز وبوضوح تعبيراتها السياسية في الكثير من الدول العربية والخليجية منها بالخصوص ،فتوزيع الأدوار والوظائف الحكومية ومراكز السلطة في هذه المناطق غالبا ما تتحكم فيها عوامل القرابة والعشائرية والقبلية

ويعتبر المجتمع الريفي الجزائري ودون المبالغة في الطرح واحدا من المجتمعات الذي مازالت فيه القرابة باتساع أو ضيق روابطها فاعلا ناشطا لدى سكانه في اختياراتهم السياسية ، وتبرز تجلياتها أكثر في الانتخابات كشكل من أشكال المشاركة السياسية وكنموذج يتداخل فيه القرابي مع السياسي ، لذا ووقوفا عند هذا الطرح وجب علينا كدارسين البحث في الحقل السوسيولوجي عن إيجاد مبررات موضوعية وعقلانية لفهم عميق وأدق للظاهرة ، والعمل في نفس الوقت على إيجاد الفواعل الاجتماعية الأخرى التي توسع من مساحة الولاء للوطن وتقلص من حيز الولاءات القرابية الضيقة والهشة ، لأنه كثيرا ما تشكل اختياراتنا السياسية المبنية على أساس العاطفة والقرابة والمناطقية والعروشية وتهميش معايير الكفاءة والعدالة والنزاهة والبرامج السياسية الواقعية عائقا وظيفيا أمام العمليات والبرامج التنموية التي تستهدف مجتمعاتنا الريفية بفعل السياسات التسييرية الفاشلة للمنتخبين المحليين خاصة على مستوى المجالس الشعبية البلدية أين يتجلى الأثر الكبير للروابط القرابية

إذن لتفضيلاتنا السياسية انعكاسات على حياتنا الاجتماعية قد تكون إيجابا أو تكون سلبا ، ومن هنا تكتسي الدراسة الراهنة أهميتها وأحقيتها في البحث ضمن سوسيولوجيا الريف ، وسنحاول أن نجد ما يبررها اجتماعيا انطلاقا من التساؤل التالي : **ماهي العوامل المساهمة في بروز القرابة كفاعل اجتماعي متحكم في الاختيارات السياسية للريفيين في الجزائر؟**

انطلاقا من معايشة الواقع الريفي وبناء على ما توصلت إليه الدراسات الاجتماعية المهتمة بالموضوع أو جانب منه كمجال للبحث، أقدم العوامل الآتي ذكرها والتي أراها الأكثر ملاءمة للإجابة على التساؤل المطروح وابقي المجال مفتوح لمزيد من الإثراء والنقد البناء.

أولا : المرجعية الثقافية

إن العيش وفق نفس العادات والتقاليد والأعراف والاعتماد على مبدأ الانتماء إلى عشيرة أو عرش واحد في اختيار الجيرة ومناطق السكن وشيوع الزواج بين الأقارب والتملك الجماعي لوسائل الإنتاج في الريف الجزائري

" في ظل اقتصاد قصير المدى موجه نحو إشباع الحاجات الفورية "[1]من اجل الاستهلاك العائلي ، هو ما كانت مفطومة عليه الحياة الاجتماعية الريفية في الجزائر قديما وهو ما أنتج مجتمعا متجانسا في مبناه وولد الترابط والتلاحم بين أفراده حتى أصبح الاعتداء على احد منهم كالاعتداء على الذات

وقد سبق لابن خلدون أن كتب عن هذا الصدد حين وظف رابطة القرابة كمدلول عن العصبية والتي ميز بها العمران البدوي واعتبرها ملتحمة به أكثر من العمران الحضري ،فهو يرى أن تعصب الجماعة القرابية لدفع الخطر الذي يهددها نزعة طبيعية في البشر ولدتها صلة الدم والرحم حيث كتب يقول " أن صلة الرحم طبيعي في البشر ...ومن صلتها النعرة على ذوي القربى وأهل الأرحام أن ينالهم ضيم أو يصيبهم هلكة فان القريب يجد في نفسه

غضاضة من ظلم قريبه أو العداء عليه ، ويود لو يحول بينه وبين ما يصله من المعاطب والمهالك ، نزعة طبيعية في البشر مذ كانوا "[2] ، فالإنسان الريفي تجده دوما متحزبا ناصرا لأهله وذويه ، ولايهمه بعد ذلك أن يكون غانما أو خاسرا.

إن ما كان يطبع الحياة الريفية بالجزائر في الماضي شكل تراكمات ثقافية ، أضيفت لها مضامين حداثية وصاحبتها تحولات مادية سريعة مقابل بطئ التغيير في الجوانب اللامادية ، وهو ما أفضى إلى بقاء واستمرار القيم التقليدية ولعبها لادوار توجيهية ومتحكمة في سلوكيات العديد من الريفيين ، فالتصويت لصالح الأقارب في الانتخابات يأتي كتعبير لتضامن الفرد مع جماعته وكالتزام أخلاقي تجاهها ، فهو لا تغيب عنه أبدا قيمة الأخ والخال والعم وابن العم وابن الدوار وابن العرش ، فكلهم سند وظهر مهما دعت الظروف للتنافس والاختلاف ، وهو لا يتوان عن توظيفها في ممارساته السياسية .

ثانيا: طبيعة التنشئة السياسية

إن التنشئة السياسية هي " تلك العملية التي يكتسب الفرد من خلالها معلوماته وحقائقه وقيمه ، ومثله السياسية ، ويكون بواسطتها مواقفه واتجاهاته الفكرية أو الاديولوجية "[3] وتبني عليها قناعاته وانتماءاته السياسية وتؤثر في سلوكاته وأنشطته ومشاركته في الحياة السياسية ، وهي ترافقه منذ ولادته إلى مماته وتتكفل بها في المراحل الأولى من حياته الأسرة أو العائلة بوصفهما إحدى قنوات التنشئة ومن أهم وسائلها ، إذ يرى بعض الباحثين " أن جذور الحياة السياسية للفرد البالغ توجد في حياة الطفولة ، وتقوم الوسائل الأخرى للتنشئة بتعميقها او صقلها وتهذيبها "[4]

فالريف الجزائري يقوم تنظيمه العائلي التقليدي على التسليم والإتباع من قبل الأبناء لآبائهم وأجدادهم وكبار السن منهم ومحاكاتهم في طرق التفكير وأساليب المعيشة وأنماط السلوك بحكم الخبرة والتجربة التي يتمتعون بها والتي كانت بديلا طبيعيا للعلم الذي حرم منه سكان الريف الجزائري لفترات طويلة من الزمن نتيجة سياسة التجهيل المعتمدة من قبل الاستعمار الفرنسي في حقهم

إن هذا النمط من التنشئة الوالدية الريفية من شأنه أن يؤدي إلى إنتاج أفراد متشابهين في سلوكهم وانتماءاتهم واختياراتهم السياسية والقائمة على القدسية التي يولونها لرابطة القرابة ومفعولها الوظيفي كمحدد اجتماعي لمركز وقوة نفوذ الفرد ويتناقلونها كإرث اجتماعي وثقافي من جيل لآخر ، وهو الشيء الذي قد يؤثر بشكل مباشر على قدرة الريفيين على تكوين آرائهم المستقلة ، وربما هو أيضا ما دفع بالباحث اللبناني أنيس فريحة بالقول في كتابه حضارة في طريق الزوال " نحن جميعا عبيد العرف والتقليد ، فالعرف يحدد السلوك والتقليد يفرض التصرف ، وإن الناس لا يجرؤون على الخروج على النورم (السائد) بيسر "[5]

إننا لا ننكر جملة التغيرات والتحولات التي طرأت على المجتمع الجزائري حديثا والتي مس جزء منها المجتمع الريفي ، إلا انه ما يعزز لاستمرار قوة تأثير العائلة الريفية كمؤسسة للتنشئة السياسية على حساب المؤسسات الأخرى الحاضنة لهذه العملية هو ضعف دور وأداء هذه المؤسسات .

فالأحزاب السياسية مثلا وبدلا من الأدوار المفترض القيام بها من تنشئة وتكوين وتجنيد سياسي للإفراد نجد غالبيتها تعيش اليوم وخاصة على مستوى الأرياف في حالة سبات وركود ، أما نشاطها فيتسم بالظرفية والمناسباتية ويبرز أيام الحملات الانتخابية التي يطغى عليها أحيانا جو العلاقات الزبائنية القائمة على مقايضة الدعم السياسي بتوفير قسط من المنافع والخدمات ، وتستهدف خاصة أولئك اللذين لا ينتمون لأي توجه سياسي وتنتشر أكثر بين الأحزاب التي تفتقد لدعائم التنافس السياسي والاستقطاب الانتخابي .

أما الإعلام بمختلف فضاءاته ونتيجة للازمة التي يعيشها " على مستوى هياكله وتأطيره القانوني ... وغياب قنوات تنظيمية تتكفل بتأطير الخطاب الإعلامي والقضاء على الصعوبات التي تواجهه "[6] أصبح ضعيف التوجه نحو تنشئة الأفراد سياسيا واكتفى بالوظيفة الإخبارية والترفيهية والتسويقية للترويج للسلع والخدمات

إن مؤسسات التنشئة التي ذكرت سابقا بالإضافة إلى المراكز الأخرى كالمؤسسات التعليمية والمساجد والجماعات المهنية والمجتمع المدني تقوم بأدوار متداخلة ومتكاملة ودرجة التأثير تختلف من مركز لأخر إلا أنه وفي مجتمع مثل المجتمع الجزائري " يتقدم الولاء إلى الأسرة كل أنواع الولاءات الأخرى طالما أن التماسك الأسري قوي إلى حد أن الفرد ولظروف اجتماعية واقتصادية ،يبقى مرتبط بأسرته إلى سن متقدم جدا "[7] وخاصة على مستوى الأرياف ، فهذه الفترة تكون كافية لتعليم النشء أدوار القريب والواجبات الملزمة تجاهه من مناصرة ومساندة في الاستحقاقات السياسية

ثالثا: أزمة المجال والعدالة التوزيعية

" إن المجتمع الريفي ذو اعتبار كبير في كل السياسات الحيوية والتنموية التي تنتهجها المجتمعات في تطوير نفسها في الحاضر والمستقبل ، وخاصة مجتمعات العالم التي يلعب فيها الريف دورا متميزا في اقتصادها ... ويشكل سكانه خزانا رئيسيا ... واحتياطا ضروريا للدولة في أوقات الشدة والأزمات "[8]

وخلافا لذلك فالمجتمع الريفي في الجزائر عانى كثيرا من ويلات الاستعمار الفرنسي سابقا الذي عاث فيه فسادا ومن سياسة الإهمال بعد الاستقلال وزاد من تعميق الأزمة الأحداث المأساوية التي شهدتها الجزائر لما يقارب عشرية كاملة ، هذه العوامل كلها شكلت جسرا عبرت من خلاله أمواج من الريفيين إلى المدن والمراكز الحضرية وجعلت الأرياف تبدو اليوم كالوالد الفقير للجزائر كما قال مارك كوت ، فظهرت التمايزات بين المجالين ريف فقير في بنيته الاقتصادية والاجتماعية والثقافية مقابل فضاء مديني تتعدد فيه ألوان الرفاهية ــ إن صح التعبيرــ والخدمات والمرافق العامة ويستحوذ على حصة الأسد " في توزيع الاعتمادات ورصد المصادر المالية "[9] والمشاريع والبرامج التنموية .

ولأن الريف لا يعيش بمعزل عن ما يجري حوله أصبح سكانه واعون بهذه التمايزات " وأصبحت الفوارق محسوسة بشكل معمق من طرف الكهول الذين وجدوا أنفسهم منقسمين بين ارتباطهم بأرضهم وجاذبية المدينة ... التي تكون أكبر عند الشباب كونهم غير متجذرين جيدا بالمكان "[10] ، وهو الأمر الذي تفطنت له السلطات السياسية فحاولت إعادة بعث التوازن بين الأرياف والمدن من خلال البرامج التنموية المسطرة لهذا الهدف كالثورة الزراعية والمخطط الوطني للتنمية الفلاحية ومؤخرا سياسة التجديد الريفي التي كانت تهدف إلى تحسين ظروف معيشة سكان الأرياف وتنويع أنشطتهم الاقتصادية واستدامة الموارد الطبيعية ودعم استقرار السكان في هذه المناطق .

لكن رغم كل هذه الإصلاحات التي بادرت بها الدولة الجزائرية والتي خصت بها عالم الريف ، إلا أن غياب التطبيق الفعلي والأمثل لها وتحريف بعض الإجراءات وعدم وضعها في مساقاتها الصحيحة من جهة ، ومن جهة أخرى اصطدامها بعراقيل ومقاومات ثقافية ، أدى إلى " تفاقم الثلاثي الاجتماعي الرهيب : البطالة ، الفقر والتهميش الاجتماعي "[11] ، وطفت إلى السطح أزمة العدالة التوزيعية التي أبقت على الريف مجالا ملحقا بالمدينة ومحطة للاستثمار السياسي كلما اقتربت المواعيد الانتخابية أين يتم استذكار هموم ومشكلات الريف وسكانه في خطابات المترشحين التي يغلب على بعضها الطابع الديماغوجي ثم تستكين الأوضاع على حالها إلى موعد انتخابي آخر

إن مثل هذه الأوضاع تدفع بالريفيين للجوء إلى البنى الأولية في اختياراتهم السياسية كالبنى القرابية للحصول على مطالبهم وحاجاتهم كتعويض عن الفشل في تحصيلها عبر البنى المؤسساتية .

رابعا : ضعف الثقة السياسية

إن معظم الدول والمجتمعات تحرص على عدم تآكل الثقة السياسية بين المواطن وحكومته وتسعى بشتى السبل لتعزيزها والرفع منها ، لأن غياب أو فقدان هذه الثقة يعني تقويض أركان الدولة وهدم أسسها بتعبير الفيلسوف الصيني كونفشيوس الذي سأله احد تلامذته عن الأشياء التي يجب على السياسة أن تؤمنها فأجابه ب " لقمة العيش الكافية لكل فرد والقدر الكافي من التجهيزات العسكرية ، القدر الكافي من ثقة الناس بحكامهم "[12] ، فعاود التلميذ سؤال أستاذه عن الشيء الذي يمكن التخلي عنه أولا إذا كان ولابد من الاستغناء عن احد هذه الأشياء الثلاثة فأجاب " بالتجهيزات العسكرية ... ثم نستغني عن القوت، لان الموت كان دائما هو مصير الناس، ولكنهم إذا فقدوا الثقة لم يبق أي أساس للدولة "[13]

إن هذا الحوار يبرز لنا أهمية الثقة بين الحاكم والمحكوم في حياة الشعوب فهي شرط ضروري لاستقرار المجتمعات ، وإضفاء طابع الشرعية للحكومات وإرساء قواعد الديمقراطية ، " وتعتمد هذه الثقة على تقييم المواطنين لمدى التزام السلطات والمؤسسات السياسية بتنفيذ ما وعدت به وفقا لتوقعاتهم المعيارية ... كما أنها ميكانيزم سوسيو سيكولوجي تؤثر على دوافعنا ومعتقداتنا وتوجهاتنا داخل شبكة التفاعلات الاجتماعية "[14]

عندنا في الجزائر وعلى المستوى المحلي ، الريفي الجزائري ينظر بعين يكتنفها الغموض والريبة والشك تجاه كل ما هو سياسي ، فهو من زاوية تاريخية ليست بالبعيدة لا تمحى من ذاكرته الأحداث المأساوية التي عاشتها بلادنا الحبيبة لعشرية كاملة والتي كادت أن تؤدي بها إلى الهاوية لولا تظافر الجهود وتكامل الأدوار لاسترجاع الأمن وخاصة قانون المصالحة الوطنية الذي عمل على طي صفحة أليمة من تاريخ الجزائر .

كما أنه ــ أي الفرد الريفي ــ اكتفى سياسيا لكثرة ما سمع وما شاهد حول ما تنقله وسائل الإعلام المختلفة من عمليات القتل والنهب والتخريب والدمار تحت غطاء السياسة أو تحت مازين ونمق للدول العربية على أنه ربيعها .

أما من زاوية اقتصادية ، فالريفي حاله كحال أي جزائري آخر قدرته الشرائية متدنية تجده منشغل بتحصيل لقمة العيش ومتطلبات الحياة تاركا السياسة وراءه غير مبال بها ، خاصة في ظل اقتصاد الريع النفطي الغير مستقر الذي يميز معظم الدول العربية بما فيها الجزائر ، وفي ظل اقتصاد الكفاف الموجه للاستهلاك العائلي المميز للمجتمعات الريفية .

أما من زاوية سوسيو سياسية ، فقد نما لدى جموع من الريفيين الذين لا يشكلون الاستثناء في هذا الأمر ، إحساس بعدم جدوى الحملات الانتخابية لاسيما بعد تدخل المال لشراء الترتيب الأول في القوائم الانتخابية " والمفترض أن تحمل وجوها وكفاءات متعددة تجذب الناخبين للتصويت عليها "[15] ، إلا أننا نعيش أزمة نخب محلية فبعضها يفتقر للحنكة والخبرة السياسية والبعض الأخر يفتقد للكفاءة وحسن السيرة ، بينما لا يلتزم البعض بخط سياسي واحد زد على ذلك عدم استدامة النشاط الحزبي ، وانقطاع الصلة بين الناخب الريفي والمنتخب الفائز إذ " متى نرى رئيس مجلس شعبي بلدي يلقي خطابا لسكان البلدية ويوضح فيه نشاطه ويحث المواطنين على التلاحم والتكافل للنهوض بالبلدية خلال مدة عهدته ، فبمجرد استلامه لمهامه يبدأ في انتقاد من سبقه "[16] ويختفي عن الأنظار

أما العروض والبرامج السياسية فتكاد تكون متشابهة وبعيدة عن فهم الواقع الريفي ومليئة بالوعود المزيفة الخيالية أحيانا والغير قابلة لا للتصديق ولا للتطبيق ، مخالفة بذلك أخلاقيات العمل السياسي ، وكلما ابتعدت السياسة عن الأخلاق فسدت المجتمعات ، وقد صدق مالك بن نبي حينما قال " إذا كان العلم دون ضمير ما هو إلا خراب الروح فالسياسة من دون أخلاق ما هي إلا خراب الأمة "[17]

إن مجموع العوامل السابق ذكرها تمثل جملة من العوامل المساهمة في فتور وضعف الثقة السياسية لدى الريفيين ، وترجمت في استقالة قسم منهم سياسيا والقسم الآخر ترجمت في سلوكه الانتخابي أين تتجه ميولاتهم نحو

المترشح القريب وتنبذ كل غريب ــ إن جاز لي التعبير ــ فما زال الناخب الريفي الجزائري " بل والعربي يتعاطف مع المرشح الذي هو من أهله أو من أبناء قريته ... ولو لم يكن مقتنعا بكفاءته أو بانتمائه السياسي وما يقترحه من برامج "[18] وهذا من باب < الأقربون أولى بالمعروف > ومن باب ثان فليس هناك أأمن من القريب لرد هذا المعروف

خامسا : الافتقار إلى وعي سياسي حداثي

يرتبط الوعي السياسي للإنسان بظروفه التاريخية وبيئته الاجتماعية المحيطة به ويتأثر بمتغيراتها السياسية والاقتصادية والثقافية وهو ما يجعل مؤشرات هذا الوعي تخضع بالضرورة لخصوصيات هذه البيئة " فلكل مجتمع وعيه السياسي ومقياسه الخاص بتحديد درجات هذا الوعي ، والذي من أبرز مؤشراته نجد القدرة على الاختيار " [19]

السياسي العقلاني وهو أمر قد يغيب في المجتمعات الريفية بفعل الهيمنة القوية لكل ما يرمز للجماعة على وعي الفرد الريفي ، فآليات تكوين الآراء والأفكار السياسية تخضع لسلطان العقل الجمعي وتعمل في خدمة المصالح السياسية للجماعة التي يتقاسم الريفي معها مشتركا معينا كالرابطة القرابية مثلا

إن هذه الأخيرة ــ أي الرابطة القرابية ــ بامتداداتها المحدودة كالعائلة أو الموسعة كالعرش ، يتم تفعيلها بشكل متكرر في العملية الانتخابية بالأرياف الجزائرية واستغلالها كورقة سياسية رابحة أو بالأحرى الاستثمار فيها كشكل من أشكال الرأسمال الاجتماعي لتحقيق المكاسب السياسية ، فضمن هذا التوجه ولمعالجة إشكالية العلاقة بين التمثيل السياسي المحلي والروابط الاجتماعية وعملية التنمية المحلية وضح لنا قدوسي محمد وزملاؤه فيما يتعلق بالعملية الانتخابية أو ما أسموه باللعبة الانتخابية بالجزائر " أن مبدأ التنافس والصراع وغاية الوصول إلى الربح السياسي لا تتم عبر اعتماد استيراتيجية الاستثمار والتوظيف لما هو أدوات و آليات الرأسمال العلمي أو الإيديولوجي أو المهني ولا حتى المادي فهو لا توجهه التحديات السياسية ولا تتحكم فيه الشروط القانونية ولا تشغله الرهانات المعيارية الإيديولوجية ، وإنما تتحكم فيه وتوجهه استيراتيجة توظيف رأسمال شبكة العلاقات القرابية "[20]

إن التوظيف السياسي لهذا النوع من الرأسمال الاجتماعي يمكن رصده في عملية إعداد القوائم الانتخابية للتشريعيات والمحليات السابقة في العديد من المناطق الريفية أين تم بناء الكثير منها وفقا لمعيار العرش لاسيما عند اختيار رؤوس هذه القوائم وذلك لضمان حشد التأييد واستمالة الناخبين خاصة بعد تيقن المترشحين من تصويت أبناء هذا الكيان القرابي (العرش) على الأشخاص لا على الأحزاب ، وكمثال على ذلك قدم لنا منصور مرقومة في دراسة بعنوان : القبيلة والسلطة والمجتمع في الجزائر ، بحث انثر بولوجي في المجال السياسي التيهرتي ، نماذج لقوائم حزبية تم الاعتماد في تحضيرها على الانتماءات القبلية وذلك في أربع بلديات تابعة لولاية تيارت يغلب عليها الطابع الحضري لكن رغم ذلك تم العودة فيها إلى البنى الأولية لكسب الرهانات الانتخابية " فالقوائم ذات التمثيل القبلي العشائري القوي هي التي استطاعت الوصول إلى السلطة ، أما تلك التي لم يحالفها الحظ في الولوج إلى مراتب متقدمة في الانتخابات هي ذات التمثيل القبلي الضعيف "[21]

وفي السياق ذاته وبهدف الوصول إلى تحديد أشكال وأسس الممارسات الموصلة للسلطة السياسية في الدولة في شقها المحلي تمكن مولود طبيب عبر دراسة سوسيوسياسية للانتخابات البلدية بولاية تبسة للفترة الممتدة بين 1990و2007 وبعد الفراغ من قراءة وتحليل القوائم الانتخابية ل28 بلدية المشكلة لإقليم الولاية ، منها 14 بلدية ريفية محضة[+]، من إثبات صحة فرضية بحثه القائلة " بأنه على أساس أن المجتمع في ولاية تبسة مكون أساسا من مزيج من القبائل فربما تكون السلطة المحلية فيه قائمة على أساس قبلي "[22] .

هذه المعاينات الميدانية تكشف لنا عن أهمية الرهان على التكوينات الاجتماعية (العرش، القبيلة) للفوز بالأصوات في الانتخابات ، أما الاستثمار في المعطى القرابي بأشكاله المتعددة فنجده يفصح من جهة عن الفقر السياسي

لدى المترشحين ومن جهة أخرى يترجم الوعي السياسي الحداثي المفقود لدى الناخبين ، فرغم المحاصرة والمنافسة التي تشهدها المصادر التقليدية للوعي السياسي في الريف من قبل وسائل الإعلام الحديثة غير الموجهة ، إلا أن هذا الوعي لا يزال مركونا ومشدودا إلى الجماعات القرابية ويتبلور وفقا لمعاييرها وينعكس في استجابات عاطفية نحوها أثناء الاستحقاقات الانتخابية ، وهو ما يجعل الاختيار السياسي يصبح مجرد تماهي عائلي وقرابي ولا يعبر عن اختيار واع وحديث لأن الوعي الحديث والمتطور مقرون بأفول الانتماءات الأولية والعكس صحيح

خاتمة

المتتبع لواقع الممارسة السياسية على مستوى الأرياف الجزائرية يجدها مزيجا يجمع بين التقليد والتحديث ، يترجمه الحضور الدائم للبنى التقليدية المنبثقة عن الروابط القرابية كمحفزات رئيسية تحدد الخيارات السياسية للمواطن الريفي وكمرتكزات تستند إليها البنى السياسية الحديثة المتمثلة في الأحزاب سواء في إعداد برامجها أو تشكيلاتها وحتى خطاباتها .

ولأن الظاهرة الحزبية رمز للحداثة السياسية ومن معالم الديمقراطية يستوجب لتعزيزها خلق ما يوازيها من تعددية حقيقية تفرز بدائل سياسية تساعد المواطن الريفي على حسن الاختيار ، فالإخفاق في الاختيار السياسي كجزئية ينجم عنه خلل في النسق السياسي ككلية ، وهنا أود أن الفت الانتباه إلى عدم الأخذ دوما بسلبية الاختيار القائم على أسس قرابية ، فمن حيث المبدأ لا يعاب اختيار المترشح القريب الكفؤ والمناضل الحقيقي لشغل منصب سياسي ما ولكن الغير سوي هو جعل القرابة معيارا أول للاختيار واستبعاد الشروط الأخرى ، أما الأسوأ فهو أن يصبح القريب الملاذ الوحيد لعدم وجود البديل

الهوامش

1- secrétariat social d'Algérie. **De l'Algérie originelle à l'Algérie moderne, élément** de sociologie culturelle au service de l'éducation de base (Alger : édition du secrétariat social d'Alger, 1961) p.14

2 ــ عبد الرحمان بن خلدون. **مقدمة ابن خلدون** ، ج1 ، تحقيق وتعليق عبد الله محمد الدرويش (دمشق : دار البلخي ، 2004) ص. 256

3 ــ مولود زايد الطيب . **علم الاجتماع السياسي** (ليبيا : دار الكتب الوطنية ،2007) ص. 158

4ــ المرجع نفسه ، ص.162

5ــ مأمون طربية .**علم الاجتماع في الحياة اليومية** (بيروت : دار المعرفة ، 2011) ص.178

6ــ ميلود مراد **. دور الإعلام الجزائري في إدارة الأزمات** (الجزائر: دار الهدى ، 2013) ص.126

7ــ يوسف تمار ." دور وسائل الإعلام في عملية التنشئة السياسية لدى الفرد الجزائري" متوفر على: **temmaryoucef.ab.ma/141699.html**

8ــ عبد الحميد بوقصاص . **النماذج الريفية الحضرية لمجتمعات العالم الثالث في ضوء المتصل الريفي الحضري** (عنابة : مخبر التنمية والتحولات الكبرى في المجتمع الجزائري ، دون سنة نشر)ص.ص. 73ــ 74

9 ــ رشيد زوزو . " الهجرة الريفية في ظل التحولات الاجتماعية الجديدة في الجزائر 1988-2008 " أطروحة دكتوراه دولة في علم اجتماع التنمية غير منشورة ، جامعة قسنطينة ،2008، ص.219

10 ــ مارك كوت. **الجزائر المجال المقلوب** ، ترجمة خلف بوجمعة (الجزائر : دار الهدى ، 2010)ص.220

11ــ إسماعيل ميهوبي . **مقدمة في دراسة المجتمع المحلي الريفي** (الجزائر : دار النشر جيطلي ، 2014) ص.24

12ــ مالك بن نبي . **مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي** ،ترجمة بسام بركة واحمد شعبو(دمشق : دار الفكر ، 2009) ص . 132

13ــ المرجع نفسه ، ص. 132

14ــ وفاء علي داود . **الثقة السياسية بين المواطن والحكومة وتداعيات قيام الثورات** (الإسكندرية : مكتبة الوفاء القانونية ، 2014) ص.ص. 55-61

15ــ عادل عباسي . " واقع النشاط الحزبي في الجزائر وانعكاساته على سلوك الهيئة الناخبة ، دراسة في ضوء تشريعيات 2007 مع إطلالة على التشريعيات المقبلة " **في المجلة العربية للعلوم السياسية** ، العدد 35 (لبنان : مركز دراسات الوحدة العربية ، 2012) ص. 35

16ــ دريدي شنيتي . **الوطن والمواطنة بين النظرية والممارسة في الجزائر** (الجزائر : دار النشر جيطلي ، 2014) ص.ص. 77-78

17ــ مالك بن نبي . **مشكلات الحضارة : بين الرشاد والتيه** (دمشق : دار الفكر ، 2002) ص. 80

18ــ صبري جبلي احمد عبد العال . **الخداع السياسي** (الإسكندرية : مكتبة الوفاء القانونية ، 2014) ص.149

19ــ محمد اوجار . " ندوة الوعي السياسي واختيارات الناخب " في
http://www.biped.org/pdf/Nadawat/nadawat4pdf. p2

20ــ قدوسي محمد وآخرون . " التمثيل السياسي وعلاقته بالتنمية المحلية ، دراسة في إعادة تشكيل الروابط الاجتماعية " ، مشروع بحث وطني (PNR) ، **في المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية** ، العدد 8 ، إصدار فريق البحث لمخبر الجزائر تاريخ ومجتمع في الحديث والمعاصر ، جامعة سيدي بلعباس ، 2011-2013 ، ص. 126

21ــ منصور مرقومة . " القبيلة والسلطة والمجتمع في الجزائر " أطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة وهران ، 2009-2010 ، ص. 196 ، للاطلاع عليها على الرابط التالي:
http://theses.univ.oran1.dz/document02201004t.pdf

+ ــ وفقا لمؤشر التحضر تم تصنيف بلديات ولاية تبسة إلى 14 بلدية ريفية محضة و8بلديات يغلب عليها الطابع الحضري (نسبة السكان اللذين يعيشون في المناطق الحضرية هي أكثر من 75%) وبلدية واحدة يغلب عليها الطابع الريفي (نسبة السكان اللذين يعيشون في المناطق الحضرية هي اقل من 45%) و5بلديات مختلطة (نسبة السكان اللذين يعيشون في المناطق الحضرية تتراوح بين 45%و 75%) وهذه المعطيات خاصة بنتائج الإحصاء العام للسكن والسكان لسنتي 1998 و2007 ومستقاة من منشورات الديوان الوطني للإحصاء على الرابط التالي
http://www.ons.dz/img/pdf/armature_urbaine_2008.pdf . p143-160

22ــ مولود طبيب. "أشكال وأسس الممارسات الموصلة للسلطة السياسية في الدولة " أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة وهران 2015ــ 2016، ص. 14